

الاکثر - امتداداً لخلافة السفاح والمنصور إذا استثنينا عناية المهدي بفتح بعض الطرق العامة، وتوسيع عاصمته بغداد حتى ازدهرت فيها الصناعة والتجارة، وعني المهدي فيما عني بنظام البريد في المملكة (1) وكان شديداً في مؤاخذة المتظاهرين بالمذاهب الشاذة، كما كان أبوه يعييه بالاسراف والتبذير، وينسب ذلك إلى ضعفه وحداثته واستيلاء أعوانه عليه، ومما لا شك فيه أن المهدي كان مغلوباً على أمره لزوجته الخيزران، إذ كانت تدخل أنفها في كثير من الأمور العامة، إلى أن حجر عليها ابنها الهادي بعد وفاة أبيه. كانت الخيزران خائفة على نفسها من ابنها الهادي، شاعرة بأنه يحاول الفتك بها، فإنها رأت في نفسها الكفاية للمساهمة في إدارة شؤون الدولة، وقد كثرت الغاشية وازدحمت المواكب على بابها بعد موت زوجها المهدي، ومرد ذلك على الأكثر إلى حادثة سن ابنها الهادي، إذ بويع بالخلافة وعمره نيف وعشرون سنة، فأرادت مشاركته في سلطانه، وحاولت غلبته على أموره، وكانت صلة رجال الدولة بها وصلتها بهم حديث المحافل في البلاد، كما كان الهادي يطوى نفسه على كثير من الاشجان والالام من أجل ذلك، فهو معروف بشدة الغيرة على حرمه، ولكن هذا الخليفة الشاب سرعان ما تنكر لأمه، بل ثار عليها ثورة صاخبة، وخاطبها بعبارات جارحة فاضت على لسانه وكلها عدل وتقريع وتهديد ووعيد، ومن أجل ذلك - على ما يقول فريق من المؤرخين - سعت أمه في الفتك به قبل فتكه بها. وذلك في مستهل السنة الثانية من خلافته (2).

هارون الرشيد:

1- أنظر عن عنايته بنظام البريد تاريخ الخلفاء للسيوطي (107)

2- أنظر عن قصة الخيزران وعلاقتها بموت الهادي وتضارب أقوال المؤرخين في ذلك تاريخ الطبري (33/10 - 34) و المروج (2/184) والكامل (40/6 - 41) وقد روى المؤرخون المذكورون نص خطاب الهادي لأمه الخيزران الذي أحفظها عليه.

بلغت بغداد، بل بلغت الدولة العباسية أوج عظمتها وحضارتها في عهد الرشيد،

